

السيد محمد تقي المدرسي

محمد المصطفى ﷺ

قُدوةٌ وأُسوةٌ

بسم الله الرحمن الرحیم

النبی محمد (ص) قدوه و اسوه

کاتب:

آیت الله سید محمد تقی مدرسی

نشرت فی الطباعهٔ:

دار محبی الحسین (علیه السلام)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

النبی محمدصلی الله علیه و آله قدوه و اسوه

اشاره

سرشناسه : مدرسی، محمدتقی، م - ۱۹۴۵

Mudarrisi, Muhammad Tagi

عنوان و نام پدیدآور : النبی محمدصلی الله علیه و آله قدوه و اسوه/ محمدتقی المدرسی

مشخصات نشر : تهران : دارالمحبی الحسین علیه السلام ، ۱۳۸۴.

مشخصات ظاهری : ۴۸ ص؛۱۱ X۱۷س م

شابک : ۹۶۴-۷۳۷-۴۹-X

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت : عربی

یادداشت : کتاب حاضر تحت عنوان "محمد(ص) قدوه و اسوه" نیز منتشر شده است

یادداشت : فهرستنویسی براساس اطلاعات فیپا

یادداشت : کتابنامه: به صورت زیرنویس

عنوان دیگر : محمد(ص) قدوه و اسوه

موضوع : محمد(ص)، پیامبراسلام، ۵۳ قبل از هجرت - ۱۱ق. -- سرگذشتنامه

رده بندی کنگره : BP۲۲/۹/م ۴م ۳ ۱۳۸۴

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۳

شماره کتابشناسی ملی : م ۸۴-۵۹۰۳

ص: ۱

اشاره

المدخل

(بسم الله الرحمن الرحيم (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ (٧))

ص: ٥

الفصل الأول: الأَصْلُ الكَرِيم

اشاره

مكه المكرّمه: مدينه حجازيه أنشئت منذ عهد إبراهيم الخليل عليه السلام، الذى أمره الله تعالى أن يرحل ببعض ذريّته إلى أرض الحجاز، ليبنى هناك بيتاً لله يُعبد فيه ولا يُشرك به، فجاء وعمَّر البيت الذى سُمى الكعبه.

ومن نسل إبراهيم عليه السلام انحدرت قبائل استعربت فيما بعد، وكانت إحدى هذه القبائل تسمّى ب- (قريش)، وكانت هذه القبيله منقسمه إلى عشره فروع، وكان لكل فرع سيادته واستقلاله، كما كان لكل منها نظامه القبلى الخاص الذى يتكوّن من رئيس للقبيله النافذ الكلمه، المُطاع الأمر، ومن سائر أفراد القبيله التابعين له اتِّباع الفصيل لأمه.

بَنُو هاشم:

وكانت إحدى هذه القبائل العشر تسمى ب- (بنى هاشم)، كما كانت لفظه (بنى أميه) قد وضعت لقبيله أخرى.

وبنو هاشم هى القبيله التى كان النبى محمد صلى الله عليه واله ينتسب إليها، حيث إنه كان من أحفاد عبد المطلب الذى كان بدوره من أبناء هاشم، شيخ العشيره.

ص: ٩

عبداللّه وآمنه:

كان عبد المطلب، شيخ بنى هاشم، ورئيسها المطاع، وكان له عشره أولاد، أصغرهم وأفضلهم هو عبد الله. وكانت فى مكه قبيله قريبه تُعرف ببنى زهره، منحدره من نسل زهره بن كلاب بن مُره. وكانت امرأه من هذه القبيله تسمى ب- (آمنه) بنت أحد شرفائها (وهب بن عبدمناف). فلمّا شبَّ عبد الله، زوّجه والدُه بآمنه، وتمَّ الزواج على أسعده.

الميلاد المبارك:

ولم تمضِ إلَّا مده يسيره حتى حملت آمنه بسيّد البريّه النبى محمد صلى الله عليه واله فى حين أن عبد الله، والده الكريم، كان قد سافر فى رحله تجاريه إلى الشام. فلما بلغ مدينه (يثرب) التى سُمِّيت فيما بعد بمدينه الرسول، توفاه الله تعالى، فَوُلِدَ النبى يتيماً.

ورافقت ميلادَه الكريم حوادث خارقه حيث انخمدت نيران فارس المجوسيه، وغاضت بحيره ساوه وسقطت شرفات قصر كسرى ملك الفرس، ونُكّست الأصنام.

عهد الرضاع:

واحتفلت أسره بنى هاشم بمولده المبارك احتفالًا باهراً، وذلك لأن عبدالله كان أحبّ بنى هاشم إلى أنفسهم. غير أن المنيّه اختطفته وهو فى نُضره شبابه، وبقيت مَنِيَّتُهُ ثلمهً فى قلوبهم وجرحاً عميقاً فى نفوسهم. فكان ميلاد محمد صلى الله عليه واله بلسماً لذلك الجرح، وسدًّا لذلك

الفراغ، وذكرى لذلك الشاب العظيم.

وحيث كان من عاده الشرفاء فى مكه أن يطلبوا لأبنائهم مراضع من أهل الباديه، لتكون نشأه أولادهم سليمةً عن الضعف الجسمى والنفسى، فقد اتَّخذ عبد المطلب- شيخ بنى هاشم، وكفيل النبى محمد- امرأةً عربيةً من أفصح القبائل العربيه لساناً وأكرمهم خُلقاً لتكون مرضعةً ومربيةً له. تلك كانت (حليمه) المنسوبه إلى قبيله (بنى سعد) التى كانت تسكن أطراف مدينه طائف.

ودرج الطفل المبارك فى أحضان القبيله البدويه التى كانت تنظر إليه نظره المحبه والود، لأنه كان منشأ البركه والخير فيها، وأخذ ينمو نموًّا سريعاً.

ولما بلغ السادسه من عمره، رافق أمه آمنه فى سفره ودِّيَّه الى يثرب (المدينه)، وحينما قفلوا راجعين توفيت آمنه فى منزل «الأبواء» تاركه ابنها الوحيد يتيم الأبوين.

ولما بلغ الثامنه تُوُفِّى عبد المطلب جدُّ النبى وكفيله، وترك كفاله محمد صلى الله عليه واله إلى أبى طالب عليه السلام، كما خوّل إليه سياده بنى هاشم، ووفاده الحاج.

ولم يكن أبو طالب كفيل النبى فقط، بل كان بمثابه والدٍ حنون يرى فى إكرام ابن أخيه (محمد) وفاءً لحق أخيه عبد الله، وإطاعةً لأمر أبيه عبد المطلب، وأداءً لمسؤوليه سيادته على بنى هاشم، وعملًا بوظيفته الإنسانيه المقدسه فى الحياه.

فكان النبى صلى الله عليه واله يذهب معه إلى المرافق العامه، حتى تلك

المناطق التی کانت محرّمه علی غیر الساده والأشراف، مثل دار الندوه التی کانت بمثابه رئاسه الوزراء فی المملکه، وکان لا یدخلها إلَّا من کان سیِّداً فی قومه. ذلک لأن أبا طالب کان حریصاً علی حیاه محمد وتربیته، حتی أنه لما أراد أبو طالب أن یواصل رحله قریش التی کانت تتّجه إلی کل من الیمن فی الشتاء، والشام فی الصیف لغرض التجاره، اصطحب معه النبی صلی الله علیه واله وهو فتیً لم یبلغ مبلغاً من العمر یؤهله الی مثل هذه الرحله الملیئه بالأخطار.

وحینما سارت القافله، رأوا شیئاً غریباً لم یکونوا عرفوه من قبل. فقد رأوا أن سحابه ترفرف علی القافله فَتُظللهم من الشمس، وتُبدِّل الرحله الخطیره إلی رحله سعیده مریحه.

الراهب بُحیرا:

بالقرب من مدینه بصری القدیمه، کانت تقوم صومعه یسکن فیها عابدٌ مسیحیٌّ، اشتهر فی الناس أنه صاحب کرامات وتنبؤات صادقه.

ولم یکن هذا الراهب یعتنی بالقوافل التجاریه التی کانت تمرّ بمنطقته فی سیرها إلی الشام وإلی الحجاز، لأنه کان مستغنیاً عنهم، فی الوقت الذی کانوا محتاجین إلیه.

وکانت قد مرَّت قافله قریش التجاریه بهذه المنطقه مرات عدیده، ولم یرمقهم هذا الراهب بطرف، ولا خطروا عنده ببال.

أما فی هذه المره فقد تبدلت الأمور، قبل أن یصل الرکب، رأی الناس أن الراهب یتطلع إلی الصحراء، ثم یقلب وجهه فی السماء کأنه

يطلب شيئاً فى الأرض وشيئاً فى السماء، فلما اقترب الركب، لاحظ الناس أن الراهب يراقب سحابه فى السماء كأنها تسير على أثر خطوات الخيل والجمال سواء بسواء. وحينما وصلت قريش إلى رحاب الصومعه دعاهم الراهب إلى الإقامه فيها للعشاء تلك الليله، وتعجَّب الناس كلهم من هذه البادره، إلا أن الراهب أزال دهشتهم بتصريح أدلى به على مأدبه العشاء حيث قال: إن إكرامه وإعظامه لقريش إنما هو لوجود هذا الفتى السعيد بينهم، وبشّرهم بما سوف يكون من أمره من الرساله المقدسه.

وتكررت هـذه البشاره مره أخرى فى الشام، حيت التقى بالنبىِّ راهب آخر كان يـدعى ب– (أبو المويعب) وبشَّر الناس قائلًا: هذا نبىّ الزمان.

ورجع النبى صلى الله عليه واله إلى مكه وامتلأـ رفاقه فى تلك الرحله إعجاباً به وإعظاماً له. فلما قصّوا على الناس قصصهم فى السفره، اشتهر أمر النبىّ صلى الله عليه واله أيَّما اشتهار.

ثم بَدرت من النبى بوادر طيبه جعلت الناس تنظر إليه نظر التوقير والاحترام. فحينما هدم السيل بنيان الكعبه، وأرادت قريش ترميمها، اختلفت فى الذى يجب أن يحظى بفخر وَضْع الحجر الأسود فى مكانه من ركن الكعبه، فقد كان لذلك الحجر شأن عظيم فى نظر قريش وسائر العرب، وكاد الزعماء فى قريش يحارب بعضهم بعضاً، بيد أنَّ حكماءها قالوا: لنحتكم إلى أول داخل من هذا الباب، فرضى الجميع بذلك.

ووقف الناس ينتظرون أول الداخلين من ذلك الباب، فإذا

بطلعه النبیِّ محمدٍ صلی الله علیه واله قد أشرقت علیهم، وإذا صوت واحد یقول: هذا الأمین قد رضینا به. فعرف النبیُّ ماجری بینهم، فأمر بأن یؤتی بثوب، ثم أمر بأن یأخذ کل زعیم بطرف منه ثم وضع الحجر فیه وأمر برفعه حتی إذا تساوی مع الحائط أخذه النبیُّ ووضعه فی موقعه. وهکذا حفظ النبی صلیً الله علیه واله بهذا الحکم العادل المنصف حقوق القبائل کلها، کما أنه فاز بفخر ترکیز الحجر بنفسه، ورضیت به قریش صاحب فخر ومجد بالغین.

وکانت الرذیله والأخلاق السیئه متفشّیه بین الشباب بصوره فاحشه، حتی أنه لم یکن فی العرب شاب لم یتدنس بسیئاتها إلّا الشاذ النادر.

ومع کل ذلک فلم یسجل العرب المعاصرون للنبی صلی الله علیه واله والمراقبون لأیام شبابه، أی میل إلی الباطل أو أی مشارکه فی لهو أو لغو، بل العکس فقد لاحظ الناسُ فی النبیِّ صلی الله علیه واله کلَّ معانی الشرف والنبل، وکل سمات الإنسانیه والصلاح.

والمعروف أنه کان قد تم الاقتراح علی شرفاء مکه وساداتها، أن یکوّنوا لجنه تدافع عن حقوق الضعفاء، وتراعی أمورهم. فاستجابت النفوس الطیبه إلیه، وأقسموا قسماً شرفیًّا بذلک؛ وسُمِّیَ ب- (حلف الفضول)، وسواءً کان النبی صلی الله علیه واله هو المقترح أو غیره، فإنه قد حضره وقد أشاد به بعد الرساله حیث قال:

«لَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ عُمُوْمَتِی حِلْفاً فِیْ دَارِ عَبْدِاللهِ بْنِ جَدْعَانَ مَا أُحِبُّ أَنَّ لِیْ بِهِ حُمْرَ النِّعَمِ، وَلَوْ دُعِیْتُ إِلَیْهِ فِیْ الإِسْلَامِ لَأَجَبْتُ» (۱).

۱- (۱) الکامل فی التاریخ، ابن الأثیر، ج ۲، ص ۴۱.

الأمين .. الحكيم:

وحيث عرف أهـل مكه فيه هـذا السـموّ الخُلقى والنبل المعنوى، فقـد ائتمنوه على أمورهم، وسـلَّموا إليه ودائعهم، كما أفشوا إليه أسرارهم، واستشاروه فى قضاياهم الخاصه، فكان يُعرف بينهم بالأمين وبالصادق الحكيم.

أمـا مـا يخصّ أمر كفيله أبى طـالب، فقـد كـان النبى وفيـاً له، برًّا به. فلقـد كان أبو طالب فقيراً مُعيلًا، حيث إنَّه كان سـيِّداً يتحمل مسؤوليات السـياده الخطيره التى كانت تحتاج إلى المال قبل كل شـى ء، وكانت موارده قليله جـدًّا، فلذلك أخذ النبى يفكر منذ صباه فى طريقه للعيش يُخفِّف بها مسؤوليه الكفاله عن عمه أبى طالب.

فاشـتغل برعى الغنم شـأن صبيان العرب فى مكه، بفارق أنه كان يتأهل بـذلك لمسؤوليه الرساله أيضاً، وذلك أنه ما بعث الله نبيًّا إلَّا وقد كان راعياً فى يوم من أيام حياته!.

ومرّت الأيام، وشبّ النبى صـلى الله عليه واله، ولم تعد هذه الطريقه لائقه به فى مثل سنّه، فأخذ يمارس التجاره. ثم سعى عمه فى إرساله بتجاره إلى الشام تخص السـيده خـديجه بنت خويلـد، المرأه الثريه التى كان يُتاجر بأموالها كثيرون من سـكان مكه، على أن يكون الربح بينها وبينهم، فتمَّ له ذلك.

وحينما ذهب النبى صلى الله عليه واله فى هذه الرحله التجاريه، كان من أوفق التجارات التى تمت بمال خديجه إلى ذلك الحين. وقد كان ظهر من النبى صلى الله عليه واله فى تلك الرحله معاجز كثيره، لما قُصَّتْ على خديجه

رغبت بالزواج بالنبيّ صلى الله عليه واله، فقبل النبيّ بذلك، ووافق عليه عمه أبو طالب. فتم الزواج السعيد فى السنه الخامسه والعشرين من عمر النبيّ الشريف. وكان زواجه تحوُّلًا فى حياته الاجتماعيه. حيث لم يعد الآن صاحب بيت وأولاد فقط بل وصاحب ثروه كبيره ضخمه أيضاً.

ورُزق النبيُّ صلى الله عليه واله من خديجه خمسه أولاد هم (زينب) و (أم كلثوم) و (فاطمه) و (رقيّه) و (القاسم، أو الطاهر) عليهم السلام.

لقد كان هذا الزواج أوفق زواج يُعرف فى صدر الإسلام.

أما بالنسبه إلى خديجه فإنها أصبحت به: زوجه النبيّ، والأم الكبرى للمسلمين. بعد أن اتَّصل بها أشرف الخلائق أجمعين.

وأمّا بالنسبه للنبيّ صلى الله عليه واله فقد كانت خديجه أول من آمن به، ثم نصرته وبذلت ما لديها من المال والجاه والحكمه فى سبيله وفى سبيل نشر دعوته المقدسه. ولم يزل النبيّ يذكر لها ذلك حتى آخر لحظه من حياته. وقد كانت وفاه خديجه تعادل عند النبيِّ صلى الله عليه واله موت عمه أبى طالب، فلقد تأثر بهما تأثراً بالغاً، ثم فقدهما فى عام واحد حينما كان أحوج ما يكون إليهما معاً.

الفصل الثّانی: وبَعْدَ الرِّسَاله

العالم فی ذلک الوقت أحوج ما یکون إلی رساله، وإلی رسول.

فهذی عربٌ تَئِدُ البنات وتقول: نِعْمَ الصهرُ القبر. وتُکثر الحرب، وتحسب أنها مفخره للإنسان. وتؤمن بالخرافات: بالکهّان والعرّافین، وتعبد الأصنام، وقد شاع فیها اً وتُستثمر قواهم استثماراً. وهذه سائر مناطق الأرض فی مملکه الروم، وفی إمبراطوریه الفرس، شاع فیها الفساد والعدوان، وکثرت فیها الفواحش والموبالظلمُ، فهناک طائفه من المستغلین الذین لا یعرفون للطمع حدوداً، ولا للاستغلال قیوداً، وهناک طائفه من الکادحین الذین تُستنزف جهودهم استنزافقات.

وهؤلاء حکماء العرب الذین یطَّلعون علی الکتب السماویه مثل: ورقه بن نوفل وعبد الله بن جحش وعثمان بن الحویرث وغیرهم، یبشِّرون بنبیٍّ یُبعث، ویُنقذ الإنسانیه من هذه الهاویه السحیقه.

وهؤلاء یهود یثرب یتطاولون علی العرب بنبیٍّ یُبعث فیهم، ویأتی بکتاب عظیم، ویخضع لدعوته العالم، فیصبحون أعزاء فی الحیاه.

وهؤلاء الکهنه والعرّافون لایزالون ینتظرون النبیّ الذی یکون خاتم النبیین، وسیَّدهم.

فمن هو هذا النبیُّ، ومتی یُبعث؟؟.

ص: ۱۹

هنا فی بیت خـدیجه- بمکه وفی أرض الحجاز- یُعرف رجل لم یشترک فی باطل قط، ولم یعزف عن حق قط، ولم یَعرف الإثم جنابه ولا غاب الخیر والصلاح عن رحابه.

إنَّ هـذا الرجـل تجتمع فیه جمیع مؤهلات الرساله، وکل ما ذکر فی الکتب من علائمها؛ فهو من أعرق العرب فخراً ومجـداً، ومن أسمی أُسَر العرب شرفاً وکَرماً، وهو أحسن الناس خُلقاً، وأفضلهم عملًا، وأقربهم إلی الحق وابعدهم عن الباطل.

وقد حدث مرات عدیده أن فقدته مکه فَوُجِدَ فی غار حِراء یعبد الله ویطیعه، ویمارس نُسکاً خاصه لایعرفها أهل مکه.

ففی الشـمال الشـرقی من مکه یرتفع جبـل النور، وفیه غـارٌ أعتـاد النبیّ صـلی الله علیه واله أن یظـلّ فیه أیامـاً یواصـل فیهـا عبـادهً مجهوله عند الناس.

وذات یوم یروح محمـدٌ صـلی الله علیه واله إلی حِراء فیری کلَّ شـی ء قـد تبـدّل. فإن روحانیه جدیـده تشـمل کیانه، وتسـتوعب شعوره، وإذا به یری السـماء قـد فتحت أبوابهـا، والمَلَک علی أرجائها، وجبرائیل یهبط إلیه ویقول له: اقرأ .. فیقول له النبیّ صـلی الله علیه واله: ما أقرأ؟

فقال له جبرائیل علیه السـلام: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ (۱) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (۲) اقْرَأْ وَرَبُّکَ الأَکْرَمُ (۳) الَّذِی عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (۴) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ یَعْلَمْ) (۱).

وکان هـذا الحادث فی السابع والعشـرین من شـهر رجب حیث یحتفل المسـلمون بعیـد (المبعث النبویّ) باعتباره بـدْءَ حیاه الخیر والسعاده للإنسان علی وجه الأرض.

۱- (۱) سوره العلق، آیه: ۱- ۵.

وهكـذا بُعث النبى بالرساله، وابتـدأت مرحله جديده من حياته الكريمه، حيث لم يعد الإنسان الطيب الذى يعمل المعروف فقط، ويؤدى الأمانه ويصـدق الحـديث، ويُعيل الأقرباء، بل أصـبح الآن البشـير النذير الذى يحمل على كتفه مسؤوليه قياده الإنسان الى كل خير، وصيانته من كل شر.

كمـا أنهـا ابتـدأت بـالبعثه مرحله جديـده للجزيره العربيه، بـل للعـالم كله. فسـوف لا ـ يبقى العـالم يسـوده الظلم والظلام، والشـر والطغيان، بل ستفتح فيه أبواب الخير التى تنتهى إلى سياده العدل والنور والخير والمعروف.

ورجع النبى إلى مكه فبلَّغ خـديجه مـا جرى له، وقصَّ عليهـا القصه فـآمنت به، كما أنه حـدَّث بها ابن عمه عليًّا- وهو فتى مراهق كـان النبى قـد تكفَّل تربيته- فـآمن ثم آمن كـذلك جعفر أخو على. ثم أعلن النبى صـلى الله عليه واله دعوته حينمـا نزلت هـذه الآيه: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) (١).

وابتدأ بعشيرته حيث نزلت عليه آيه أخرى تقول: (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) (٢)

.

فجاء النبيُّ صلى الله عليه واله حتى وقف على الصفا فنادى:

«يَا صَبَاحَاهْ.

فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ فَقَالُوا: مَا لَكَ؟.

فَقَالَ صلى الله عليه واله:

أَرَأَيْتُكُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ مُصْبِحُكُمْ أَوْ مُمْسِيكُمْ مَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونَنِى.

١- (١) سوره المدّثِّر، آيه: ١- ٣.

٢- (٢) سوره الشعراء، آيه: ٢١٤.

قَالُوا بَلَى.

قَالَ صلى الله عليه واله: فَإِنِّى: (نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ).

قَالَ أَبُو لَهَبٍ- أحد أعمام النبىّ- تَبًّا لَكَ أَلِهَذَا دَعَوْتَنَا جَمِيعاً!» (۱).

وخطب فيهم مرةً أخرى وقال صلى الله عليه واله:

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الرَّائِدَ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ، وَلَوْ كُنْتُ كَاذِباً لَمَا كَذَبْتُكُمْ، وَالله الَّذِى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنِّى رَسُولُ الله إِلَيْكُمْ حَقًّا خَاصَّةً وَإِلَى النَّاسِ عَامَّةً، وَالله لَتَمُوتُونَ كَمَا تَنَامُونَ، وَلَتُبْعَثُونَ كَمَا تَسْتَيْقِظُونَ، وَلَتُحَاسَبُونَ كَمَا تَعْمَلُونَ، وَلَتُجْزَوْنَ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَاناً وَ بِالسُّوءِ سُوءاً، وَإِنَّهَا الجَنَّةُ أَبَداً وَالنَّارُ أَبَداً، وَإِنَّكُمْ أَوَّلُ مَنْ أُنْذِرْتُمْ» (۲)

. ولكن لم تكن تلبيه القوم إلَّا مثل تلبيه أبى لهب. فقد أعرضوا عنه، واستهزؤوا به، وسخروا بدعوته. أما هو فقد ظلَّ يواصل دعوته بشتى الأساليب، حتى اشتهر خبرها فى مكه وما حولها. وبلغت دعوته بعض النفوس النيِّره الخيِّره التى كانت تريد الحق والخير، فآمنت بها، واتَّبعتها. بيد أن أكثريه التابعين لها كانوا من الطبقه الفقيره التى لم تكن تملك لنفسها نفعاً ولاضرًّا.

أما ساده قريش وأشرافها، أما المستغلون المرابون، أما الذين كانت مصالحهم ترتبط بالأصنام والأزلام، أما ذوو العقول المتحجره، والنفوس المتصلبه، أما هؤلاء فقد اعتبروا هذه الدعوه شرًّا يجب أن يقاوَم وأن يحاربّ بكل وسيله.

۱- (۱) بحار الأنوار: ج ۱۸، ص ۱۶۴.
۲- (۲) بحار الأنوار: ج ۱۸، ص ۱۹۷.

ولـذلك فهؤلاء لم يمتنعوا عن قبول الـدعوه فقط، بل أخذوا يسـلكون معها مسـلكاً معادياً، وساروا فی جبهه معاكسه تماماً؛ فكل من أسـلمَ قـابلوه بـالكبت والاضـطهاد، وحـاولوا ردَّه إلى دينهم الخرافی السـخيف. فكم من رجل منشـرح الصـدر، ومنوَّر القلب اعترف بـالنبی صـلی الله عليه واله، فتعرّض للتعـذيب والتنكيـل من جـانب قريش؟ وكم من عبـد أو أمه آمن بالرسـاله فَهُـدِرَ دَمُه ومات فداء إيمانه! فهذا عمار قد عذَّبوه ونكَّلوا به. وهذا ياسر أبوه، وهذه سُميّه أمّه قد قتلوهما قتلًا!.

ولم يكن نصـيب النبی صـلی الله عليه واله من هـذا التعـذيب والأذى قليلًا. فإنه كان كلما سـمع أنَّه عُذِّب أو أوذىَ أحدٌ فی سبيل دعوته تألَّم وتأثَّر، ولربما فاضت عيناه بالـدموع. وبالإضافه الی ذلک فقـد كانت قريش تتعرض للنبی صـلی الله عليه واله بالذات، إذ كـان أبـو لهب يرمی النـبیّ بالحجـاره، وكـانت زوجته تُلقی فی طريـق الرسول صـلی الله عليه واله الأشواک. وكـان أبو جهل يحاول إثاره غضبه بإلقاء الفرث علی رأسه وهو فی الصلاه، أو يرمی القذر فی طعامه وهو يأكل؟.

وشـجَّ أحـد الكفَّار رأسه الشـريف بالقوس حتی جرت دماؤه علی وجهه الكريم!. وكان بعض آخر منهم يلطِّخون داره بالأقـذار، وقد يُلقون بها فی فناء داره.

أما السخريه والاستهزاء والتقريع، فقد كانت تمتلئ بها أفواه الكفاّر، ويصبُّونها علی النبیِّ صلی الله عليه واله كلَّ حين!.

وكـان النبیّ صـلی الله عليه واله يقابـل كلّ ذلک بصبر حكيم، وحلم قائـد، وأناه نبیّ؛ فإذا جاءت إليه طائفه من الكفّار اسـتقبلهم بكل طلاقه، ودعاهم إلی الدِّين بأحسن طريق، فإذا لبّوا دعوته يكون ذلک خيرٌ، وإلَّا فإنه كان

يطلب منهم أن يأتوا بمثل ما أتى به من القرآن، ثم يتلو عليهم: (قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً) (۱).

ولطالما كانوا يسخرون منه ويستهزئون بدعوته، فكان يعظهم ويدعو الله لهم بالهدايه دون أن يغضب أو يثور.

وكان فى بعض الأحيان يتجوَّل فى العشائر والمجامع، ويدعو الناس إلى ربهم. بيد أن كفار قريش كانوا يعرقلون طريق دعوته بأمرين:

الأول: أنهم كانوا يحذرون الناس من أن يتأثروا بدعوته قائلين لهم: إنَّ الرجل منّا، وهو ساحر ومجنون أو كذّاب. حتى أن الناس كانوا يضعون القطن فى آذانهم لكيلا يسمعوا قول النبى صلى الله عليه واله.

الثانى: أنه كان يسير خلفه رجل منهم ويصيح: إنه كذاب فلا يُسمع قولُه، ولا تُلَبَّى دعوتُه.

وعجز كفارُ قريش عن أن يمنعوا سير الدعوه الحثيث واشتهارها بهذه المعارضات. ففكّروا فى انتهاج مسلك آخر فى منع الناس عن الإسلام، فجاؤوا إلى النبيِّ صلى الله عليه واله وقالوا له: «يَا مُحَمَّدُ! شَتَمْتَ الْآلِهَهَ، وَسَفِهْتَ الْأَحْلَامَ، وَفَرَّقْتَ الْجَمَاعَهَ. فَإِنْ طَلَبْتَ مَالًا أَعْطَيْنَاكَ، أَوِ الشَّرَفَ سَوَّدْنَاكَ، أَوْ كَانَ بِكَ عِلَّهٌ دَاوَيْنَاكَ!

فَقَالَ صلى الله عليه واله: «لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ بَعَثَنِی اللهُ إِلَيْكُمْ رَسُولًا وَأَنْزَلَ كِتَاباً، فَإِنْ قَبِلْتُمْ مَا جِئْتُ بِهِ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِی الدُّنْيَا وَالْآخِرَهِ، وَإِنْ

۱- (۱) سوره الأسراء، آيه: ۸۸.

تَرُدُّوهُ أَصْبِرُ) حَتَّى يَحْكَمَ اللَّهُ بَيْنَنَا) (۱)» (۲).

وفكروا هذه المره بأن يستأصلوا الشجره الطيبه من أصلها وأن يغتالوا النبيَّ صلى الله عليه واله نفسه، بيد أنَّه كان يومئذ يأوى إلى ركن شديد، وسندٍ قوىّ، لم يقتدر الكفار أن يأتوا عليه، وهو عمُّه وناصره أبو طالب سيد قريش وشيخ بنى هاشم. فحاولوا أوّل الأمر إغراء أبى طالب فقالوا له: «إننا نعطيك ولداً وسيماً من أبنائنا ونأخذ محمداً ونقتله.

فقال: ما انصفتمونى. آخُذ ولدكم فأُطعمه وأسقيه، وتأخذون ولدى فتقتلونه. فقالوا له: إنَّ ابن أخيك قد سبّ آلهتنا، وعاب ديننا، وسفَّه أحلامنا، وضلل آباءنا. فإما أن تكفه عنّا، وإمّا أن تخلِّى بيننا وبينه فنكفيكه».

لكن أبا طالب الذى لم يشكَّ فى صدق مقاله ابن أخيه والرسول المبعوث إليه، ردّهم ولم يقبل أىَّ واحد من اقتراحاتهم؛ وخاطب النبيَّ صلى الله عليه واله قائلًا: «أُدع إلى ربّك. فإنى لن أتخلَّى عنك أبداً».

وحينما رأت قريش أن أبا طالب لن يتخلى عن النبى، دبّرت له خطه أخرى، حيث أجمعت أمرها على مقاطعه النبيِّ وكلّ من يؤازره من بنى هاشم. وكتبوا صحيفه بشأن هذا القرار، ومنعوا الناس من أن يبيعوا شيئاً إلى بنى هاشم. فجمع أبو طالب بنى هاشم وجعلهم فى شِعْبٍ كان له فى أطراف مكه، وبقوا هناك ثلاث سنين فى أشدّ ما يكون من سوء العيش، وأكثر ما يكون من الخوف والقلق، حتى أن أبا طالب كان يُبدِّل فراش النبى صلى الله عليه واله فى كل ليله مرات خوفاً على حياته الكريمه.

۱- (۱) سوره الأعراف، آيه: ۸۷.

۲- (۲) بحار الأنوار: ج ۱۸، ص ۲۰۱.

وشاء الله أن تنقضى مده هذا النفى فأمر بالأرضه (وهى دابه صغيره) أن تأكل الخطوط الملعونه التى رُسمت على الصحيفه. فأكلتها، وأَلْهَم نبيَّه بشأن ذلك، فأخبر النبىُّ صلى الله عليه واله أبا طالب عليه السلام، وهو بدوره ذهب إلى الكفار وحدَّثهم بذلك. وقال: إن ذلك علامه صدق ابن أخى فى ادّعائه الرساله، وكذبكم فى إنكاركم أمره. فجعلوا الاطلاع على الصحيفه حكماً بينهم فإن كانت الصحيفه كما أخبر الرسول صلى الله عليه واله أخرجوهم من المنفى، وإن لم تكن فإنهم ماكثون فيه.

وحينما اطَّلعوا عليها وجدوها كما أخبر الرسول صلى الله عليه واله. فخرج بنو هاشم من المنفى منتصرين. وتمَّ بذلك عهد كان من أشد العهود على النبىِّ وآله، وأصعبها جميعاً.

وإنّ الضراء التى مست الأسره الهاشميه فى منفاها بِشِـِعْب أبى طالب كانت شديده للغايه. ولذلك فإن خسارتها كانت بالغه وكبيره أيضاً، حيث نتج عن الحصار الاقتصادى والاجتماعى على بنى هاشم موت خديجه زوجه النبى صلى الله عليه واله، وموت أبى طالب عمه وكفيله.

لقد كانت خديجه عليها السلام شريكه النبىِّ صلى الله عليه واله فى كلّ آلامه وآماله، والمسلّيه له فيما أصابه من أذى، بل كانت المُعينه له على مكاره قريش، كما كان أبو طالب حامى النبى صلى الله عليه واله الذى كان قد ألقى بينه وبين أذى قريش حجاباً ثقيلًا.

لقد كان أبو طالب سيّد قريش وشيخ بنى هاشم؛ وكان له حق مشروع فى الدفاع عن النبىّ محمد صلى الله عليه واله فى منطق النظام الاجتماعى السائد فى تلك

الأيام، حيث إنه كان يعتبر النبىَّ ابناً له. والمرء يمكنه الدفاع عن ولده فى ذلك النظام بكل أسلوب وفى جميع الأحوال حتى

ولو كان ابنه خارجاً عن طريقه أهل البلاد ودينهم.

فموت أبى طالب وخديجه كان بمثابه هدم حصن حصين ذى ركنين ثابتين بالنسبه إلى النبى صلى الله عليه واله فى تلك الظروف، ولذلك سميت تلك السنه بعام الحزن. وحيث اشتدّ فيه حزن النبيِّ وتأثره بموت حامِيَيهِ والمدافعين عن دعوته ورسالته. وكان ذلك بين العام السابع والثامن من البعثه.

واشتدت الأزمه بالنبى صلى الله عليه واله بعد وفاه أبى طالب؛ لأن قريشاً أجمعت أمرها على سحق المسلمين ومحق الدعوه الإسلاميه، فقامت بضغط عنيف على المسلمين، وبأذىً كثير للنبيِّ صلى الله عليه واله، وحاولوا مراتٍ عديدةً قتله إلّا أنَّ الله منعه منهم. فأخذ النبى صلى الله عليه واله يُعدّ تدابير لهذه الأزمه المحيطه به وبالمسلمين. فبالنسبه إلى المسلمين أمرَهم بالهجره إلى الحبشه، وقد تمت هذه الخطه بترحيل طائفتين كبيرتين منهم إليها عن طريق البحر، فتخلصوا من شرّ الكفار وكيدهم، وقد آواهم ملك الحبشه، وأكرم وفادتهم.

وأما بالنسبه إليه نفسه صلى الله عليه واله فقد ذهب إلى الطائف– وهى مدينه قريبه من مكه تقطنها ثقيف القبيله الكبيره– لعله يستطيع أن يهدى أهلها فيمنعوه من قريش. بيد أن هذه الخطه لم تحظ بنجاح، فقبيله ثقيف لم تقبل الإسلام، بل سلّطت سفهاءَها وجُهَّالها على النبى صلى الله عليه واله؛ فآذوه شر أذيه وأرسلوا إلى مكه ينقلون إلى قريش قصه دعوته لهم إلى الإسلام، فاستعدت قريش له من جديد، فلم يأمن النبى صلى الله عليه واله يومئذ على نفسه من الرجوع إلى مكه بصوره عاديه، فاضطرّ إلى أن يراسل بعض سادات قريش ورؤسائها يطلب منهم أن يُجيروه من قريش، فأجاره واحد منهم

حتى جاء إلى مكه تحت حمايته.

وعرف النبى صلى الله عليه واله أخيراً أن أهل مكه لا يمكن أن يكونوا الحاملين للرساله الإسلاميه المقدسه إلى الآفاق، لأنَّ دعوته الملحَّه المستمره التى ظلت فيها زهاء عشر سنوات لم تُجْدِهِ نفعاً أبداً، ولم تُنتج غير إصرارٍ من الكفار وعنادٍ بالغين.

فصمَّم على نشر الدعوه بين سائر القبائل العربيه الأخرى، فإذا استطاع أن يهدى قبيله واحده ذهب إليها وظلّ ينشر نور الإسلام من خلال أفرادها. فأخذ يدعو الناس فى المواسم التى كانت العرب تتدفق فيها على مكه لغرض العباده أو التجاره، فيذهب إلى القبيله ويقول لها: «يا بَنى فلان: إنى رسول الله إليكم، وأنا آمُركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، وإن تؤمنوا بى وتصدقونى وتمنعونى حتى أبيِّن عن الله ما بعثنى به».

وكانت قريش ترسل وراءه من يعقِّب على كلامه بتحذير العرب من طاعته، وتهجّن دعواه، وكان عمّه أبو لهب يتولى هذه المهمّه فى أغلب الأحوال.

أما القبائل العربيه فكانت تتعصّب لآلهتها المزعومه، وتُؤْثِرُ البقاء على تقليد الآباء. كما كانت تَحْذَرُ من قريش؛ إذ لو كانت تُسلم لكانت تتعرض لحرب قريش قطعاً، فكانت تردّ النبى ولا تقبل دعواه، وتردُّه إما ردًّا جميلًا أو قبيحاً.

إلَّا أن قبيله واحده استجابت إلى دعوه النبى صلى الله عليه واله، تلك كانت القبيله العربيه الساكنه فى يثرب، والتى كانت منقسمه إلى طائفتين: الأوس والخزرج، وكانت الحرب بينهما قائمه على أشدها، وكانوا قد ملُّوها.

نعم، استجاب أهل يثرب إلى قول النبى صلى الله عليه واله وقبلوا دعوته. وبذلك أخذ الإسلام ينتشر فى المدينه (يثرب) انتشار الضياء بعد ليل طويل.

وتمّت بيعه مسلمى المدينه الثانيه مع محمد صلى الله عليه واله فى العقبه بمنى فى السنه الثانيه، وتمت بها الاتفاقيه العسكريه بين النبى صلى الله عليه واله وأنصاره من أهل المدينه. وكان اللازم بموجبها على المسلمين من أهل المدينه الدفاع عن النبى صلى الله عليه واله وعن سائر المسلمين من أتباعه بكل ما لديهم من قوى حربيه.

وابتدأ النبى صلى الله عليه واله بتنظيم الهجره الى المدينه؛ فأخذ يُرحِّل أصحابه إليها واحداً بعد آخر على حين غفله من كفّار قريش.

وحينما سمع الكفّار بذلك قالوا فيما بينهم: إنَّ المسلمين إذا اجتمعوا فى المدينه، كَوَّنوا قوهً معارضه تُكَلِّفُنا كثيراً من المال والدم. ففكروا فى إعاقه الهجره بمنع المسلمين ترغيباً أو ترهيباً، بيد أنَّ المسلمين أخذوا يفلتون من أيديهم تحت أجنحه الظلام وفى غياهب الليل. فقال الكفَّار لأنفسهم: إنَّ النبىّ لا يزال بين أيدينا، وليس له منعه عنّا، فلو هاجر إلى المدينه وجمع أنصاره حوله، فهنالك يصبح من الصعب القضاء عليه. فاجتمعوا فى دار الندوه وتشاوروا فى الأمر، حتى استقر رأيهم على أن يأتوا من كل قبيله برجل، ثمَّ يهجموا على النبىِّ صلى الله عليه واله هجمهً واحدهً فيقتلوه ويضيع دمه بين قبائل العرب، فلا يستطيع بنو هاشم من أخذ الثأر منهم.

واختاروا من كل عشيره رجلًا، فجاؤوا وأحاطوا بدار النبىِّ صلى الله عليه واله، ولكن الوحى نزل وأمره بأن يتخذ الليل جملًا مهاجراً إلى

المدينه، ثم أوضح له كل شی ء من تدابیر قریش وخططهم.

فجعل النبی الإمام علیًا مکانه یبیت فی فراشه لکی یظن الکفار أن النبیّ صلی الله علیه واله موجود فیشتغلون به، ویخرج هو من طریق آخر. فبات الإمام علی فراش الموت ینتظر المصیر الکائن، بینما ذهب النبیّ یلتمس طریقه إلی غار ثور، حیث بقی هناك وقتاً کافیاً، ثم سار إلی المدینه علی غیر الجاده، لکیلا تلحقه قریش أو عملاؤها الذین جعلت لکل من أخذ محمداً منهم مقداراً کثیراً من المال.

وعندما وصل النبیّ صلی الله علیه واله إلی المدینه احتفلت احتفالًا رائعاً بقدومه، وسارت فیها مواکب السرور بأهازیج الفرح.

وتمت بذلك الهجره النبویَّه التی کانت بدایه حیاه جدیده للمسلمین، حیاه العزه والمنعه، وحیاه الدفاع عن حقوقهم، والجهاد لأعدائهم، وحیاه التوسع والانطلاق إلی آفاق العالم. وفی الواقع کانت الهجره بدء تکوین الأمه الإسلامیه الموحده؛ ولذلك اتخذ المسلمون منها بدء تاریخهم الدینی، لأنها کانت أهم الأحداث بالنسبه إلیهم.

وبقیت فی مکه طائفه من المسلمین تَمَّ ترحیلُهم أیضاً بقیاده الإمام علی بن أبی طالب علیه السلام، بعد التغلب علی صعوبات شدیده. وهناك فکّرت قریش فی أسالیب أخری للقضاء علی الإسلام والمسلمین بعدما فات وقت الأسالیب السابقه.

الأسالیب الجدیده کانت توجز فی خطتین اتبعتهما قریش الواحده تلو الأخری:

الخطه الأولی: کانت بعث رسائل إلی أهل المدینه یریدون فیها

منهم تسليم محمد صلى الله عليه واله إليهم مع شىء من الترهيب والترغيب، بيد أن المسلمين هَزِئُوا بهذه الفكره، وسخروا من أهلها، وبعثوا بقصيده هجائيه إلى قريش بيَّنوا بها جوابهم الصريح بعد أن أثبتوا حقيقه النبى صلى الله عليه واله وحقيقه قريش التى تناوئه.

الخطه الثانيه: وضع الحصار الاقتصادى على المدينه حيث كانت لقريش كل التجاره العربيه، وكانوا قد أمَّنوا طرق تجارتهم بالتحالف مع القبائل البدويه التى كانت تسكن فى طريق الشام وطريق اليمن. فأصدروا إليها بياناً حظروا فيه بيع المواد الغذائيه لأهل المدينه، أو الإجازه لمرور القوافل التجاريه لأهل المدينه التى ترمى إلى استيراد المواد إليها.

وأما النبى صلى الله عليه واله الذى أخذ على عاتقه مسؤوليه الدفاع عن المدينه، والذى كان يرى أن الحصار الاقتصادى الذى ابْتُلِيَ به أهل المدينه إنما هو لأجله وبسببه؛ فإنه دبَّر خطه دفاع عن هذا الحصار بما سيأتى من أمر غزوه بدر، إلَّا أنه يجب علينا أن نُلقى نظره عاجله على حاله أهل المدينه وإمكانيتهم الماديه والمعنويه قبل الحديث عنها.

فقد جاء النبى صلى الله عليه واله إلى المدينه فوجد فيها عناصر ثلاثه:

١- المسلمون: وهم يتألفون من أوس وخزرج ومهاجرين، وكل منهم يختلف عن الآخر، فاستطاع النبى صلى الله عليه واله أن يصهرهم فى قالب واحد، حتى صاروا إخوه متألفه قلوبهم، متراصَّه صفوفهم، وأصبحوا «أمه واحده كأسنان المشط .. فى التساوى والتعاون».

٢- المنافقون: وهم طائفه كبيره من العرب، أظهروا الإسلام وأضمروا الكفر. وقد قدر النبى صلى الله عليه واله على أن يشلَّ حركات هذه

الطـائفه ونشاطاتهـا بـاللّطف حينـاً، وبإعطـائهم بعض المنـاصب التى تشـغلهم، وبعض المسؤوليـات التى تسـدّ فراغهم حينـاً آخر. واشترك الوحى فى تقويمهم بالآيـات التى نزلت فى المنافقين، وكانت تؤكـد على (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الـدَّرْكِ الأَسْـفَلِ مِنْ النَّارِ) .(1)

٣- اليهود: الذين كانوا قوه رهيبه يملكون من المال والسلاح والحيله الشى ء الكثير. ولقد وضع النبى صلى الله عليه واله اتفاقيات سياسيه وعسكريه معهم، تضمن للفريقين التعايش السلمى والدفاع المشترك عن البلاد وأهلها.

وكـانت مسؤوليات الرسول صـلى الله عليه واله فى المـدينه أكثر منها فى مكه، وإن كان الضـغط هناك أكثر. حيث كان الرسول يريد أن يكوِّن أمه، قبل أن يشيد دوله.

فمسؤوليه التبليغ لغير المسـلمين، ومسؤوليه تهذيب المسـلمين، ومسؤوليه تطبيق نظم الإسـلام، ومسؤوليه الدفاع عن المسلمين فى الجزيره العربيه التى كان شعارها الحروب والغزوات، ودثارها السيوف والرماح. هذه المسؤوليات كانت بعض ما أخذ النبىُّ صلى الله عليـه واله على عـاتقه أداءهـا من المسوؤليـات الخطيره. ففى الـوقت نفسه الـذى كـان النـبىُّ صـلى الله عليه واله يقـود الجيش الإسـلامى إلى جبهات القتال كان يوصـيهم بأداء الأمانه والوفاء بالعهـد ولو مع العـدو اللدود. وفى الوقت نفسه الذى كان يُلقِّنُهم دروس التضحيه والجهاد للدين، كان يشرح لهم معانى العفو والصفح، وإشاعه السلام وإطابه الكلام.

وفى اللحظه نفسها التى كان يتولَّى دفن الشهداء فى أُحُد وقد

١- (١) سوره النساء، آيه: ١٤٥.

مُثِّل بهم شرَّ تمثيل فامتلأت قلوب المسلمين حقداً على الكفار وغيظاً وأملًا بالثأر، كان النبى صلى الله عليه واله يتلوا عليهم آيات العفو وتحريم المُثْلَهِ ولو بالكلب العقور.

ومن كل هذا نكتشف مدى خطوره مسؤوليه النبيِّ صلى الله عليه واله التى كانت تهدف إلى تكوين الأمه الموحده، كأفضل وأمجد أمه فى الحياه.

وهنا نرجع الى الحصار الاقتصادى الذى ضربه كفّار مكه على المدينه لنعرف ما كان موقف النبيِّ صلى الله عليه واله وكيف فكَّه عنها.

فالخطه التى اتَّبعها النبيُّ صلى الله عليه واله فى رد هذا الحصار كان شيئاً مماثًلا؛ فالقوافل التجاريه التى كانت تريد أن تسير إلى الشام من مكه كان الواجب عليها أن تقطع المضيق البرّى بين البحر الأحمر والمدينه. فجعل النبيُّ صلى الله عليه واله سَرِيَّه مسلحه لمراقبه هذه المنطقه، وكانت هذه السَّرِيَّه من المهاجرين حيناً ومن الأنصار حيناً آخر، وكانت وظيفه هذه السَّرِيَّه منع القوافل التجاريه.

ولكن القوافل هذه كانت قد تعاهدت مع القبائل البدويه فى الطريق على أن تمنعها من المهاجمات التى كان يقوم بها قراصنه الصحراء، على أن تُعطى القوافل التجاريه لها ضرائب معلومه كل سنه. ولذلك فقد فشلت هذه الخطه مرات عديده حيث كانت هذه السَّرِيَّه المسلحه تريد التعرض للقوافل، فكانت القبائل البدويه تدافع عنها بحجه المعاهده التى بينهما.

بيد أن النبى صلى الله عليه واله ذهب الى هذه القبائل البدويه العربيه وعقد معها اتفاقيه فى شأن الأمور الحربيه، وبذلك أَمِنَ من دفاعها عن قوافل مكه.

ص: ٣٣

وأرسل النبيّ صلى الله عليه واله طائفه من أصحابه إلى موضع بين مكه والطائف ليترصدوا له قافله قريش التجاريه، فكتب رساله مختومه وأعطاها قائد هذه الطائفه المدعو ب- (عبد الله بن جحش) وقال له: اذهب فى اتّجاه مكه، فإذا سرت يومين فافتح الكتاب واعمل بما فيه. فلما فتحه وجد فيه ما يلى:

إذا نظرت كتابى هذا فامضِ حتى تنزلَ نخلَه بين مكه والطائفه فتَرصد بها قريشاً وتَعلم لنا من أخبارها.

فذهب إلى نخله ورأى قافله تجاريه تمرُّ بها فى طريقها إلى مكه، فاستولى عليها، وأتى بها إلى المدينه بعد أن أسر منها رجلَين وقتل رجلًا وهرب آخر.

والنبيُّ صلى الله عليه واله وإن كان لم يرضَ بفعل هذا القائد إلَّا أنه استفاد من هذا المال فى حين كان أحوج ما يكون إليه. كما أنه ربح الموقف بإلقاء الرعب فى قلوب الكفار.

وقاد النبيُّ صلى الله عليه واله السَّرِيَّه المسلحه فى المره الثانيه، وأخذ يراقب بنفسه الركب التجارى لقريش، وسمع غير مره بمسيره قريش للتجاره وخرج إليها، غير أن الركب كان قد فاته ولم يلحق به. ولقد سبق أن قلنا: إن إعاقه مسير قريش للتجاره كان دفاعاً مشروعاً للنبيِّ، باعتباره عملًا مماثلًا لمنع القوافل التجاريه عن أهل المدينه؛ وفكًّا للحصار الاقتصادى، وإدانهً لقريش مقابل ما استولوا عليه من أموال المسلمين فى مكه ولم يرضوا بإعطائها لهم.

وذات مرهٍ خرج النبيُّ صلى الله عليه واله لهذه الغايه- حيث سمع بركب

قرشى للتجاره فخرج إليه ليستولى عليه- فوصل الخبر إلى الركب، فأرسل بخبر ذلك إلى مكه واستنفرهم بأن أموالهم فى خطر، والعرب فى مكه كانوا يفدون أنفسهم لأموالهم، ويبذلون أرواحهم فى سبيل حفظها، فحينما سمعوا بالنبأ، وهو أن محمداً صلى الله عليه واله يتعرض لأموالهم، خرجوا إليه مسرعين نحو المدينه.

وكان أبو سفيان يتولّى رئاسه القافله التجاريه، فَتَنَكَّبَ بها الطريقَ حتى سيّرها على ساحل البحر الأحمر بعيداً عن النبى صلى الله عليه واله وعن سَرِيَّتِهِ المسلحه، وأنقذها بذلك من سيطره المسلمين واستيلائهم عليها.

وأما كفّار قريش فإنهم ساروا إلى جهه المدينه. ومع أنهم سمعوا بنجاه القافله التجاريه، فإنهم لم يسمحوا لأنفسهم بالرجوع إلى مكه إلّا بعد إباده المسلمين وكسر شوكتهم.

وكان النبىّ صلى الله عليه واله لا يزال فى طريقه إلى مكه- وهو يطلب عير قريش- وقريش فى طريقها إلى المدينه تريد إباده المسلمين، فالتقيا على ماء كان يسمى ب- (بدر) ولم يكن النبىُّ صلى الله عليه واله قد استعد للحرب، بل كما سبق كان هدفه الاستيلاء على أموال التجاره القرشيه، ومع ذلك فإنه رأى رجوعه إلى المدينه انهزاماً، ولم يسمح لنفسه بذلك حتى لا يدبَّ الطمع فى قلوب الكفّار بالقضاء على المسلمين.

وكانت هذه أول حرب يخوضها المسلمون، وكانت فى السنه الثانيه من الهجره، وكان عدد الكفار يتجاوز تسعمائه وخمسين رجلًا، فى حين لم يكن عدد المسلمين يبلغ أكثر من ثلاثمائه وثلاثه عشر رجلًا، ومع كل ذلك فقد ربحها المسلمون وألحقوا خسارات فادحه بأعدائهم وهزموهم بإذن الله.

ص: ۳۵

لقـد كان التكتيك الحربى فى الجزيره العربيه لا يعدو عن مقابله الفرد بالفرد فى مشـهد ينظر إليه الفريقان، حتى إذا قتل الأبطال، هاجم الفرد، أو الجبهه- الجبهه المعاديه- حتى ينهزم أحد الفريقين.

بيد أن النبىَّ صلى الله عليه واله اتبع فى حرب بدر طريقه جديده حيث شكَّل مثلثاتٍ حربيهً فريدهً من نوعها.

وذلك بأن أمر باصـطفاف المسـلمين على شكل مثلث كبير على شرط أن يكون ظهر كل فرد داخل المثلث- أى إلى سائر أفراد المثلث- ووجهه إلى الخارج- أى إلى الكفار-.

ولقد نصـره الله بجنودٍ من الملائكه أنزلهم لِنُصـره نبيَّه صـلى الله عليه واله فانهزم الكفّار بعدما قُتل أبطالهم على يد الإمام على بن أبى طـالب عليه السـلام. وانجلت الحرب عن سـبعين قتيلًا من الكفّـار أكـثرهم من رؤسـائهم وأبطـالهم، وأربعه عشـر شـهيداً من المسلمين، ثمانيه منهم من الأنصار، وسته من المهاجرين.

وهـذه الحرب الـداميه فتحت بـاب الحروب فى وجه النبى صـلى الله عليه واله، الـذى تصـدَّى لها ببساله وصـمود، فجعلت قريشـاً موتورهً بقتلاهـا، وطالبه لثاراتها؛ كما جعلت المسـلمين مؤمنين بنصـر الله لهم وقـدرتهم على صـد كلِّ هجومٍ مسلَّح من أىِّ طراز كان.

وهـذه الحرب دعت قريشاً إلى حبك المؤامرات الكائـده للنبىِّ صـلى الله عليه واله. فقد أرسـلت ببعض أبطالها إلى المدينه خفيه للغدر بالنبى وقتله، بيد أن الله تعالى فضـحه، فلما جى ء به إلى النبى صـلى الله عليه واله وتكلم النبى معه وأخبره بالمؤامره تفصيلًا أسلم الرجل الذى كان يدعى (عمير بن وهب) وذهب إلى مكه داعياً للإسلام متحمساً نشيطاً.

وهكذا فشلت هذه المؤامره الماكره.

ثم قامت قريش بمحاوله فاشله أخرى، إذ خرجوا وهم مائتا نفر يقودهم أبو سفيان، وأغاروا على المدينه ليلًا فقتلوا رجلَين. فلما لحقهم المسلمون بقياده النبيّ صلى الله عليه واله ولّوا هاربين، وخلَّفوا بعض أمتعتهم ليخففوا عن أنفسهم فى السير. وتسمى هذه الغزوه ب- (السُّوَيق) حيث إن المسلمين غنموا من السويق ما كان زاداً للكفار.

وأخذ أبو سفيان قياده قريش هذه المره، إذ نصب لواء الكفر وحشد تحته خمسه آلاف رجل مقاتل، وزحف نحو المدينه. فلما بلغ جبل أُحُدٍ على بعد كيلو مترات من المدينه، تصدّى له الرسول صلى الله عليه واله بجيش لم يتجاوز عدده ستمائه محارب. ووضع النبيُّ خطه حربيه باهره، إذ اتَّخذ من الجبل ظهراً للجيش، وجعل على ثغور الجبل الذى وراءَه سريّه برئاسه (عبد الله) وأمرهم بألَّا يغادروا موقعهم الحربى الخطير مهما كان الأمر، غَلَبَ المسلمون أو غُلِبوا، ثم أمر المسلمين بالهجوم الموحد على الكفار.

والكفار الذين لم يكونوا يعرفون نظام الهجوم الموحّد لأنهم لم يروه من ذى قبل انهزموا بعد ساعات من الاشتباك الدامى، فاستولى المسلمون على امتعتهم، فرأى أهل الثغور خلف المسلمين فوق جبل أُحُد رأى هؤلاء أن إخوانهم فى تقدم باهر وفى جمع الغنائم؛ فنزلوا عن الموقع الخطير واشتركوا فى جمع الغنائم.

وكلما ناشدهم قائدهم عبد الله بالبقاء لم يقبلوا منه، وحينما رأى الكفَّار ذلك داروا من خلف الجيش الإسلامى، وهجموا على ما بقى من أصحاب عبد الله- صاحب الثغر- بقياده خالد بن الوليد وكان

فی جیش قریش، وقتلوهم وهجموا علی المسلمین من ورائهم ونـادوا بالکفـار المنهزمین لیرجعوا، فأحـاط جیش قریش بالجیش الإسـلامی، وهرب القسم الأـکبر من المسـلمین، بیـد أن الـذین بقوا مع النبیِّ صـلی الله علیه واله والإمام علی علیه السـلام وطائفه أخری من المسـلمین المخلصین، ربحوا الموقف. وأخیراً قتل الإمام عشره أفراد من حاملی ألویه الکفار حتی وقع لوائهم وانهزموا راجعین.

وبعـد ذلک غنم المسـلمون غنائم کثیره، مع أنهم خسـروا خسارات باهظه، مثل قتل حمزه بن عبد المطلب الشـجاع البطل والقائد الثالث للقوات الإسـلامیه بعد النبیِّ صـلی الله علیه واله والإمام علیّ علیه السـلام، والذی سـمَّاه النبیُّ صلی الله علیه واله ب- (سیِّد الشهداء).

وجمع أبو سـفیان فلول جیشه وعسـکر فی بعض المواقع بین مکه والمدینه. فخرج الرسول صلی الله علیه واله إلی الروحاء مع کل ما لحقه من خسارات الحرب الباهظه، وکل ما أضـر باصـحابه من متاعبها ومصاعبها. وحینما وصل إلیه هابه أبو سـفیان وفرَّ هارباً إلی مکه.

وکان خروج النبی هذا کسباً للموقف بعد خسارته، وإرجاعاً لمکانه الجیش الإسلامی فی نفوس أعدائه بعد زوالها.

ثم بعـد مده جمع أبو سـفیان ألف مقاتل وزحف بهم إلی المدینه، فلما سـمع النبیُّ صـلی الله علیه واله بخبره خرج حتی بلغ بدراً ولکن الکفار لما سـمعوا بـذلک ولَّوا هاربین ولـم یبقَ من أمر کفار قریش مع النبیِّ إلَّا غزوه واحده فقط، وهی غزوه الخندق التی اشترک فیها قریش وغیرها.

وقاد هذه الغزوه أبو سفیان بوصفه قائداً للقوات العربیه فی

مكه، حيث جمع قريشاً والأعراب وتحالفوا مع بعض اليهود فى المدينه، وجاؤوا إلى إباده المسلمين.

والحروب التى خاضها المسلمون فى حياه النبىِّ صلى الله عليه واله كانت تنقسم إلى ثلاثه أنواع:

الأول: الذى كان بينهم وبين قريش.

الثاني: الذى كان بينهم وبين اليهود الساكنين فى حصون اليهود حول المدينه.

الثالث: الذى كان بينهم وبين سائر الأعراب الذين تصدوا لمنع تقدُّم الإسلام، ووقفوا أمام انتشاره.

وقد اجتمعت الحروب بأنواعها الثلاثه فى غزوه الخندق؛ ولذلك سميت ب- (الأحزاب) أيضاً، حيث تحالفت قريش مع (بنى سليم) و (أسد) و (فزاره) و (أشجع) و (غطفان) ومع (بنى قريظه)، وبعض يهود المدينه؛ تحالفوا جميعاً على محاربه النبىّ صلى الله عليه واله.

وحينئذٍ تَمَّ رأى المسلمين على أن يبقوا فى المدينه، ويحفروا بينهم وبين الأحزاب خندقاً عميقاً وعريضاً.

وجاءت الجيوش المعاديه كالسيل الهادر يملأ السهل والجبل، فرأوا الخندق فقالوا: هذه حيله جديده.

وجاء شجعانهم، وهما: (عمرو بن عبد ودّ، وعكرمه بن أبى جهل) واقتحما الخندق حتى توسَّطا بينه وبين المسلمين. فأخذا يطلبان المبارزه، فتقدم الإمام على بن ابى طالب عليه السلام إلى أشجع العرب فى زمانه عمرو بن عبد ود فقتله. وبموته ساد الرعب فى صفوف الكفار.

ص: ٣٩

وتبادل الفريقان المُراماه بالسهام. وبقيت الجيوش الكافره أكثر من عشرين يوماً، ثم رجعوا على أعقابهم خائبين بعدما كلَّفهم الأمر خسائر معنويه وماديه كثيره.

وشاع فى الجزيره العربيه خبر صمود المسلمين أمام القوى مهما تضاعفت وتجمَّعت. فهذا جيش الإسلام لم يتجاوز عدده ثلاثه آلاف، فى حين أن الكفار كانوا عشره آلاف. ومع ذلك كان النصر للإسلام.

وبغزوه الخندق انتهت السلسله الكبرى من حروب النبىّ صلى الله عليه واله مع قريش، ولم يخض النبى بعدها أيَّه معركه، إلَّا فتح مكه التى لم تكن حرباً فى الواقع، بل كانت انتصاراً وغلبةً نهائيةً للمسلمين على الكفار.

وبقيت هناك سلسلتان من الحروب الإسلاميه:

الأولى: حروب المسلمين مع اليهود.

الثانيه: حروبهم مع القبائل العربيه الأخرى.

أما حروب المسلمين مع اليهود فَتُوجَزُ بما يلى: اليهود كانوا أحجاراً ناتئه ناشزه وضعت فى الجزيره العربيه لترد ما لحقهم من سيوف الملوك والسلاطين. وكانت الأكثريه الساحقه منهم تسكن فى المدينه، وهم بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظه ويهود خيبر، ويهود فدك، ويهود وادى قرن، ويهود تيماء.

فأما بنو قينقاع فقد كانت قبيله مهنيه تستولى على صياغه الجزيره. وقد ذهبت امرأه من المسلمين عند أحد الصاغه منهم فراودها ليكشف عن وجهها فأبت، فعمد اليهودى إلى طرف ثوب المرأه فعقده إلى ظهرها من حيث لم تعلم المرأه بذلك. فلما قامت انكشفت سوأتها فضحك

اليهودى منها، فصاحت تستصرخ المسلمين. فوثب أحد المسلمين وقتل اليهودى، فاجتمع اليهود وقتلوا ذلك المسلم.

ثم احتدم النزاع بين المسلمين واليهود، وجاء النبىُّ صلى الله عليه واله إلى اليهود ينصحهم بالدخول إلى الإسلام وقبول نُظمه المقدسه، فاستهزؤوا به، وطلبوا النزال. فذهب الرسول إلى حصونهم وحاصرهم خمسه عشر يوماً فانتهى إلى الصلح مع النبىِّ بالخروج عن المدينه مع أموالهم وذراريهم وخلَّفوا تركاتهم وأمتعتهم لتكون للمسلمين، ففعلوا ذلك وذهبوا إلى أطراف الشام.

وأما بنو النضير فقد كانت قبيله ثريّه تُعطى أموالها قرضاً للناس. فذهب النبىُّ صلى الله عليه واله إليها يطلب منها القرض، فأرادوا اغتياله، حيث أصرُّوا عليه بالدخول إلى دورهم فأبى ذلك، واتَّكأ على الحائط فأرادوا إلقاء حجر الدفن على رأسه من فوقه، فتنحى عنه، ورجع إلى المدينه قبل أن يقترض منهم، وأرسل إليهم أن اخرجوا من ديارى حيث نقضتم ميثاقى، وقد أجَّلتكم عشره ايام. فأخبروا النبىَّ صلى الله عليه واله بأنهم لن يخرجوا، فليفعل ما شاء.

فخرج النبى صلى الله عليه واله إليهم، وحاصرهم وهدم مساكنهم فأخذوا يتنقلون من حصن إلى حصن، حتى ضاق عليهم الأمر، فطلبوا من النبىِّ صلى الله عليه واله أن يخرجوا بأثقالهم عن المدينه، فلم يقبل منهم، فخرجوا وخلَّفوا أموالهم غنائم للمسلمين.

أما بنو قريظه فإنهم كانوا حلفاء للأوس، ثم أصبحوا معاهدين مع الرسول صلى الله عليه واله. ولكنهم انضموا إلى الأحزاب فى غزوه الخندق، فبعد انتهاء الغزوه بانتصار المسلمين أمر الرسول صلى الله عليه واله الجيش بالمسير

إلى بنى قريظه، فجاؤوا حتى حاصروهم مده خمسه وعشرين يوماً، ثم أراد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن يقتحم حصونهم، فنزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه واله.

فأمر بهم فأُوثقوا. ثم جاء إليه بعض الأوس يستشفعونه فى أمرهم فقال لهم: ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم؟ قالوا: بلى. فاختاروا سيّدهم (سعد بن معاذ) فلما جاء سعد حكم فيهم بحكم التوراه (الكتاب المقدس الذى يتبعونه) بأن يقتل رجالهم، ويسبى نساءهم، فَفُعِلَ ذلك بهم.

وفى السنه السابعه من الهجره حيث تم صلح الحُديبيه فكّر النبىُّ صلى الله عليه واله فى محاربه يهود خيبر الذين كانوا يُكثرون الضغط على المسلمين ويعاونون أعداءهم عليهم دائماً. فلما سار إليهم الجيش كان لهم حصون سبعه كلها منيعه أشد ما تكون المنعه. فحاصروا الحصون مدةً مديده، حتى ضاق اليهود ذرعاً بالحصار، بيد أنهم قاوموا حتى فتح المسلمون- تحت قياده الإمام على بن أبى طالب عليه السلام- حصونهم واحداً تلو الآخر، وقتل الإمامُ أشجعَ أبطالهم (مرحباً)، وقلع الباب الكبير الذى كان يعجز عنه أربعون فارساً ورمى به بعيداً. وانتهت المعركه بقتل مائه من اليهود، واستشهاد سبعه عشر من المسلمين. وقد غنم المسملون الشى ء الكثير من المال والسلاح والأسرى.

وبعد هذه الغزوه لم يبق لليهود شأن يذكر فى الجزيره العربيه فقد أصبحوا- بعدها- عبيداً فى حين كانوا قبلها أسياداً.

ولذلك فإن يهود فدك ويهود تيماء رضوا بأن تكون أراضيهم للرسول صلى الله عليه واله ويعملوا فيها على أن تكون الغله بينهما نصفين.

ص: ۴۲

وكانت طائفه من اليهود فى وادى قرن لم يستسلموا للنبىّ صلى الله عليه واله فذهب الرسول إليهم، ونازلهم وحاربهم حتى قبلوا أن يكونوا مثل إخوانهم.

أما حروبهم مع سائر العرب فهى كما يلى:

۱- بنو سليم ذهب إليهم الرسول صلى الله عليه واله بعد تجمعهم لمحاربته فى موضع كان يسمى ب- (الكدر) ولكنهم تفرّقوا خوفاً منه صلى الله عليه واله.

۲- (بنو ثعلبه) و (محارب) اجتمعوا تحت قياده رجل كان يدعى ب- (دعثور) فى واحه عطفان فى أطراف نجد، فرحل إليهم النبى صلى الله عليه واله وقبل أن يحاربهم اتَّفق أنه صلى الله عليه واله اضطجع على تلّ فعرف بذلك دعثور قائد الجبهه المعاديه فجاء إليه، ووقف على رأسه شاهراً سفيه وقال: من يمنعك منى؟ فقال النبى صلى الله عليه واله: «الله».

وفيما أراد دعثور إنزال سيفه دفعه جبرائيل فوقع بجانب التل، فوثب النبىُّ صلى الله عليه واله وأخذ سيفه ووقف عليه وقال: من يمنعك منى؟. فقال: عفوك. فعفا عنه النبى صلى الله عليه واله وأسلم، ودعا قومه إلى الإسلام ولم تقع محاربه قط.

۳- بنو سليم أيضاً أرادوا الحرب فخرج إليهم النبى صلى الله عليه واله فولَّوا هاربين قبل أن يلحقهم.

۴- بنو ثعلبه ومحارب، وبنو غطفان أيضاً، اجتمعوا للحرب فى نجد، فلحقهم الرسول صلى الله عليه واله ففرُّوا من وجهه قبل النزال وخلّفوا نساءهم وأموالهم غنيمهً للمسلمين.

۵- البدو فى دومه الجندل، وكانت هذه المنطقه قرب الشام،

وكانت هذه القبيله قد عاشت على السلب والنهب مما قَوَّض الأمن والاستقرار؛ فذهب النبيُّ صلى الله عليه واله لتأديبهم، بيد أنهم فرّوا هاربين قبل بلوغ النبى صلى الله عليه واله إلى هناك.

۶- ومن هذه الحروب الحرب التى قامت بين المسلمين والكفار فى مؤته، وانتهت بغلبه المسلمين بعد تحملهم خسارات فادحه. ولكن هذه الحرب لم تكن تختص بالنبى صلى الله عليه واله مباشره، ولذلك فإنا نُعرض عن ذكرها كما نُعرض عن ذكر سائر الغزوات التى قام بها الجيش الإسلامى دون أن يشترك فيها النبىّ صلى الله عليه واله. ونعطف إلى ماهو المهمّ من أعماله صلى الله عليه واله فى الحقلَين السياسى والدينى.

وإليك موجزاً لأهم الأحداث السياسيه والدينيه:

صلح الحديبيه: منذ أن أخرجت قريش المسلمين وعلى رأسهم رسول الله صلى الله عليه واله عن وطنه مكه، كان يشتاق إلى الرجوع إليها، لأنها البلد الأمين والمقدّس عند الله، ولأنها- مع ذلك- محطُّ أنظار العرب جميعاً.

ولكن الحروب والغزوات التى اكتنفت السنوات السبع بعد الهجره، والضعف الذى كان يراه فى أصحابه، منعاه من المسير إلى مكه. ولذلك فإنه حين رأى الوقت مناسباً عزم على الزحف إلى مكه وأعلن فى المسلمين ذلك، وقال: إنه يريد مكه لأداء مناسك البيت فقط، فسار بألف وأربعمائه رجل من المهاجرين والأنصار.

بَيْدَ أن كفار قريش الذين رأوا أن دخول القوم مكه بعد أن أُخْرِجُوا منها من دون أن يلحقهم أذىً، إنَّما هو ضعف وانهزام صريح

فى وجه المسلمين.

ولـذلك فإنهم أرادوا منعه منها، وأرسـلوا بطلائع من جنودهم ليقفوا فى وجه المسـلمين. وحين ذاك تنكّب النبيُّ صـلى الله عليه واله عن الطريق المألوف لئلا يصـطدم بهذه الطلائع. ولما عرف الكفار تنكُّبه، وأنه بلغ ثنيه المرار أسـفل مكه، أرسل النبى صـلى الله عليه واله أحد المسلمين يُنْبِئُ قريشاً بأنه لم يأتهم محارباً بل معتمراً.

وأرسـلت قريش سـفراء يريدون من النبى صـلى الله عليه واله الرجوع عن عزمه. وكانت من قبل قد أرسـلت سريه لمقاومه أعمال النبى صلى الله عليه واله، فأخذها المسلمون وحبسوا جميع أفرادها.

ولما أصرت قريش على منع النبىِّ صلى الله عليه واله عن البيت قال النبى لأصحابه:

«لَا نَبْرَحُ حَتَّى نُنَاجِزَ الْقَوْمَ»

وطلب من المسلمين البيعه فبايعوه على الفتح أو الشهاده.

وحينما بلغ قريشاً نبأ البيعه الجديده للنبىِّ صلى الله عليه واله هابوه فراسلوه على الصلح، فاصطلح معهم بما يلى وكان أهم بنوده:

١- إيقاف الحرب بين الفريقين لمده سنتين.

٢- القادم إلى المسلمين يُردّ وليس بالعكس.

٣- رجوع المسلمين هذه السنه وإتيانهم فى المقبله.

۴- يستطيع الفريقان قبول عهد من شاء.

وكـانت هـذه السـياسه السـليمه التى اتَّبعهـا النـبىُّ صـلى الله عليـه والـه هى الـتى فتحت عليه طرق التقـدم والنجـاح، حيث زحف المسلمون لمواجهه العالم الخارجى بعد أن أمَّنوا الجانب الداخلى، وكان بذلك الحدث التالى:

۱- بعـد هـذا الصـلح مباشـره بعث النبیُّ صـلی الله علیه واله رسائل إلی زعماء وملوک کافه الدول المجاوره. فراسل ملک الروم، والفرس، والحبشه، والقبـط، کمـا أرسـل رسـائـل إلی کـلٍّ من أمیر بصـری، وأمیر دمشق، وملـک البحرین، وملکَی عمان، وملک الیمامه بشأن الرساله التی حُمِّل مسؤولیه تبلیغها. وقد کان لهذه الرسائل آثارها البعیده فی نشر لواء الإسلام ومحق آثار الکفر.

أمـا أجوبه هؤلاء فمنهم من أسـلم، وهو کـلٌّ من ملـک الحبشه، وأمیر البحرین، وملکَی عمـان، فکـان ذلک فتحاً مبیناً للإسـلام. ومنهم من لم یسـلم ولکنه احـترم الرسول فـأیَّده، وهو کـلٌّ من ملـک الروم وملـک القبـط وملـک الیمـامه. ومنهم من أسـاء إلی الرسول واستهزأ به، وهو کلٌّ من ملک الفرس، وأمیر بُصری وأمیر دمشق.

۲- وفی السـنه التالیه- السابعه للهجره- اعتمر النبیُّ صـلی الله علیه واله علی رأس أصحابه الذین کانوا فی الحدیبیه. وفسح الکفار المجال أمامهم، وخرجوا عن مکه لئلا یقع تضارب بین الفریقین- علی ما کان یتضـمنه أحد بنود الصـلح الماضی-. وکانت هذه المره أول مره یدخل فیها النبیُّ صلی الله علیه واله مکه بعد هجرته عنها بسبعه أعوام.

۳- ورجع النبی صـلی الله علیه واله إلی المـدینه بعـدما بقی فی مکه ثلاثه أیام. وبعـد ذلک نقضت قریش بعض بنود الصـلح بأن کانت قبیله تسمی بخزاعه (معاهده مع النبیّ)، وکان علی قریش ألَّا تُحاربها وألَّا تُعین علیها أعداءها، لکنها فعلت ذلک.

وحلّ للنبی صلی الله علیه واله بذلک قتالها، فجمع أصحابُه وجمع من القبائل المسلمه التی کانت تقطن حول المدینه عدداً کبیراً، وزحف نحو مکه بعد

أن ملأـ الطريق عيوناً ورقباء على السائرين، لكيلا يصل خبر خروجه إلى قريش فيتم الأمر بالحرب التى لا يريـدها النبى صـلى الله عليه واله أبداً.

ولمـا بلغ النبيّ صـلى الله عليه واله بجيشه حى ظهران بقرب مكه، أمر أصـحابه بـأن يُكثروا من إيقاد النار، ففعلوا ذلك. فاسترهب ذلك قلوب الكفار أَيَّ استرهاب، وكان أبو سفيان يراقب طريق مكه إذ رأى النار فملكه الرعب؛ والتقى بالعباس- عمّ النبيّ صلى الله عليه واله- فحمله إلى النبى صـلى الله عليه واله ودار بينهمـا محادثات تمت بإظهار أبى سـفيان للإسـلام وبإسـلام بعض أبطال قريش وزعمائها قبله، ففقـدت مكه قوَّتها، ومنعتها، ولم تملك قوهً تـدافع ضـد دخول النبيِّ إليها. وقـد انتهج النبيّ صـلى الله عليه واله مسـلكاً فريداً فى هذا الهجوم العسكرى، وذلك بأن أعلن قبل الزحف إلى مكه أنَّ من ألقى السلاح أو دخل دار أبى سفيان أو دخـل داره أو فنـاء الكعبه أو تحت لواء أبى رويحه فهو آمن. ثم أمر قواته بإحاطه البلـد والزحف عليها من جميع جهاتها، وألَّا يقاتلوا إلَّا من قاتلهم. ثم دخل مكه من دون أن يعترض أحد طريقه إلَّا من جهه أسـفل مكه حيث جاء منها خالد بن الوليد، وقَتل اثنَى عشـر نفراً ممـن عـارضه، وقُتـل مـن المسـلمين واحـد. ثـم أعلن النـبيّ صـلى الله عليه واله فى الـبيت الحرام العفـو العـام عن المشركين جميعاً، أثناء خطبه ألقاها عليهم.

وبفتح مكه تمت السيطره المطلقه للمسلمين على الجزيره العربيه التى كانت تعتبر مكه دينها ودنياها معاً.

ثم أمر النبيّ صـلى الله عليه واله بهدم الأصـنام التى كانت تُعبد من دون الله فهدمت جميعاً. وبعد ذلك سـمع النبيّ صلى الله عليه واله بأنَّ قبائل عربيه اتَّحدت تريد الانقضاض على مكه للقضاء على المسلمين، ومن بين تلك القبائل

هوازن وثقيف. فلما تحقق النبیّ صلی الله علیه واله الخبر جنَّد اثنی عشر ألفاً من المسلمین وتوجه إلیها، فالتقی الجمعان فی وادی حُنین، حیث کان مضیق جبلیٌّ واقع بین جبلَین. وقد کان العدو قد سبق المسلمین إلی احتلال المواقع العسکریه فی الجبلین.

وحینما زحف المسلمون إلی العدو بین الجبلین انقض الکفار علیهم انقضاضاً، فهزمت طائفه منهم ثم التقت بالطائفه التی بعدها فسادت الفوضی فی الجیش الإسلامی، وهُزموا هزیمه قبیحه. بید أن النبیّ صلی الله علیه واله بقی صامداً.

وبقی معه بعض المسلمین، ثم اجتمعت فلول المسلمین حتی کوَّنوا جبهه حاربوا بها الکفار وغلبوهم. وحیث إن الکفار کانوا قد أخرجوا جمیع ممتلکاتهم ونسائهم إلی ساحه الحرب لعل ذلک یسبّب قوهً لمعنویات الجیش، فإن المسلمین ربحوا غنائم کثیره.

واستعمل النبیُّ صلی الله علیه واله تلک الأموال فی تألیف قلوب قریش، ثم عزم الرجوع إلی المدینه.

وقبل الرجوع أرسل سرایا من المسلمین فی ملاحقه المنهزمین من الکفار الذین أرادوا التجمع مره أخری وإیقاد نار الحرب.

ومن تلک السرایا، قوه مسلحه إلی الطائف حیث تحصَّن الکفار فیها. بید أن حصون الطائف کانت أمنع من أن یتغلب علیها المسلمون فرجعوا، وعندما بلغ النبیّ صلی الله علیه واله المدینه تقاطرت علیه الوفود من جمیع أنحاء الجزیره یُعلنون دخولهم فی الإسلام، ویطلبون منه إرسال المبلّغین المرشدین لهم.

وفی السنه التالیه لفتح مکه نزلت سوره البراءه التی أعلنت انتهاء الدور المظلم للجزیره وابتداء الدور المشرق.

فأرسل النبى صلى الله عليه واله الإمام على بن أبى طالب إلى مكه حيث تلا هذه السوره فى الحجّاج المحتشدين فى منى، وأعلن بصراحه منع دخول المشركين إلى المسجد الحرام؛ لأنهم نجس، ولأن الله برى ء منهم. كما أعلن أنه لا عهد ولا ذمه لمشرك، وأن دم كل مشرك حلال بعد أربعه أشهر.

وبعد هذا الإعلان لم يبقَ فى الجزيره من يظهر الشرك، إلّا فلول منهزمه مختفيه على خوف من المسلمين. فأخذ الرسول يتأهب لمقاتله الروم، وقد كانت طلائعهم تستقى فى أرض الشام التى كانت إماره عربيه تابعه للأمبراطوريه الروميه. فزحف بالجيش الإسلامى، الذى كان عدده أكثر من ثلاثين ألفاً، وكانت الخيل عشره آلاف. وكان المسلمون مدججين بالسلاح الكامل.

وكان فعلُ النبيِّ صلى الله عليه واله ذلك بعد إشاعه راجت فى المدينه بأن جيش الروم قاصد لفتح الجزيره العربيه وإباده المسلمين. ولكن حينما وصل النبيُّ صلى الله عليه واله بجيوشه إلى تبوك عرف كذب الإشاعه، فصالح أهل تلك البلاد وملك الروم. ثم رجع بعدما جعل من أهل الحدود الشاميه الحجازيه مرابطين له ضد الأعداء، وبعدما زرع الخوف والذعر فى قلوب الرومانيين بمباغته المسلمين لهم.

وفى السنه العاشره بعد الهجره اعتزم النبيُّ صلى الله عليه واله أن يحج، فاجتمع إليه المسلمون من كل مكان. فلما اكتمل عددهم سار بهم إلى مكه حيث أراهم كيفيه الحج بعدما مُنع المشركون من إجراء مراسم الحج فى السنه التاسعه.

فلما أتم النبيُّ صلى الله عليه واله مناسكه خطب فى المسلمين خطبته المشهوره

التی بیَّن بها تعالیمه الدینیه والخلقیه ورجع قاصداً المدینه.

ولعل بعض من رافق النبیَّ صلی الله علیه واله فی هذه الرحله المقدسه لاحظوا بوضوح مظاهر القلق والاضطراب فی ملامحه کل حین، کأنَّه یرید إبداء شی ء یخاف منه أو یرتقب فرصه أخری أفسح وأولی!!.

ولکنَّ هذه الحجه کانت الحجه الأخیره للنبیِّ صلی الله علیه واله. ولذلک سُمِّیت بحجه الوداع. ومن الضروری أن یُبیِّن فیها النبیُّ کل شی ء یتعلق بمصالح المسلمین وشؤونهم السیاسیه والدینیه. وإنّ أهم هذه الشؤون هی السلطه. فإذا تُوُفِّیَ النبیّ صلی الله علیه واله اختلفت العرب الذین لم یتسرّب الإسلام إلی قلوبهم کما هو فی واقعه، وتنازعت أمرها وذهب الدین ضحیهً للاختلاف.

ولقد أنبأه الوحی بأنَّ السلطه تکون من بعده لعلیٍّ بن أبی طالب علیه السلام، أوّل من آمن بالله وبرسوله صلی الله علیه واله، وأشدَّ من أَبلی فی سبیله، وأقضی المسلمین وأفضلهم. ولقد ذکر النبیُّ صلی الله علیه واله ذلک للمسلمین مراراً إلّا أن خوف النبیّ صلی الله علیه واله کان شدیداً علی مستقبل الأمه، حیث رأی فی المسلمین بعض الذین یهدفون للسیطره وقد التفوا حول النبیِّ لها فقط. فلما کان النبیُّ صلی الله علیه واله بمنزل (کراع الغمیم) من أراضی عسفان نزلت علیه الآیه المبارکه تقول: (فَلَعَلَّکَ تَارِکٌ بَعْضَ مَا یُوحَی إِلَیْکَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُکَ) (۱).

ولمّا بلغ غدیر خم نزلت علیه هذه الآیه: (یَا أَیُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ یَعْصِمُکَ مِنْ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا یَهْدِی الْقَوْمَ الْکَافِرِینَ) (۲)

.

۱- (۱) سوره هود، آیه: ۱۲.

۲- (۲) سوره المائده، آیه: ۶۷.

واطمأن النبی بنصره الله فی خلافه علی علیه السلام فعزم علی الأمر وأمر المسلمین بأن ینزلوا فی ذلک المکان وبأن یجتمعوا. فلما اجتمعوا قام فیهم خطیباً وأعلن خلافه علی علیه السلام قائلًا، بعد خطبه کریمه:

«أَلَا مَنْ کُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِیٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ، وَأَحِبَّ مَنْ أَحَبَّهُ .....» (۱).

ثمَّ أمر المسلمین بالبیعه له، والسلام علیه بإمره المؤمنین. ولما تمَّ أخذُ البیعه جاءت الآیه الأخیره التی أعلنت إکمال الدین وتمامه: (الْیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَیْکُمْ نِعْمَتِی وَرَضِیتُ لَکُمُ الإِسْلامَ دِیناً) (۲).

وبعد رجوعه إلی المدینه سیّر جیشاً کبیراً فیه أبو بکر وعمر وکثیر من المهاجرین والأنصار، وأَمَّر علیه أسامه بن زید- وهو فتیً لم یبلغ العشرین-، سیّر هذا الجیش إلی الشام حیث قُتل جعفر وزید أبو أسامه القائدان للجیش الإسلامی.

ومع حِرصِ النبیِّ صلی الله علیه واله علی أن یخرج هذا الجیش فی أقرب وقت لیبعد العناصر الفاسده فی المسلمین الذین کان یخشی منهم علی مستقبل الأمه ومصیرها، فی حین کان یری اقتراب أجله. ومع ذلک فإن المنافقین أرجؤوه، حتی أمر النبی صلی الله علیه واله أسامه بکل إصرار علی متابعه سیره فعسکر بالجرف علی فرسخ من المدینه.

بید أنَّه اشتد خلال ذلک مرض النبی صلی الله علیه واله الذی کان سببه السم الذی سُقیه علی ما یذهب إلیه بعض الرواه، وقد دُسَّ إلیه بید بعض الیهود. فرجع أفراد الجیش إلی المدینه مع أن النبی صلی الله علیه واله لعن من

۱- (۱) بحار الأنوار: ج ۳۷، ص ۱۱۵.

۲- (۲) سوره المائده، آیه: ۳.

يتخلف عن الجيش أشد لعنه.

وفی الثامن والعشرين من شهر صفر من السنه الحاديه عشره بعد الهجره، وبعد ثلاث وستين سنه قضاها فی الله، ثلاثه وعشرين عاماً منها بصوره خاصه فی حمل الرساله العالميه إلی الآفاق، عشره منها فی مکه، وثلاثه عشر فی المدينه، الْتحق النبی محمّد صلی الله عليه واله بالرفيق الأعلی؛ وکان ذلک فی ضحی يوم الاثنين من سنه (۶۳۳ ميلاديه).

وکانت وفاه النبی صلی الله عليه واله نکبه فادحه فی الإسلام لم يسبق لها مثيل، کما کان فيها انحراف مباشر لخط السير السريع لتقدم الإسلام.

وقام الإمام علی بی أبی طالب عليه السلام بمراسم الغسل والتکفين وصلَّی عليه هو والمسلمون، ثمَّ دُفِنَ فی بيته حيث مرقده الآن.

فعليک يا رسول الله أفضل الصلاه والسلام وعلی آلک الطيبين الطاهرين.

ص: ۵۲

الفصل الثَّالث: الخُلُقُ العَظِيْمُ

تعدّد الزوجات:

لقد حسب العدو أنه يستطيع أن يتخذ من تعدد زوجات النبيِّ صلى الله عليه واله نقطه ضعف ليفترى منها عليه من يشاء.

بيد أن الدراسه الواعيه لتاريخ النبيِّ صلى الله عليه واله، توحى بالفلسفه الواقعيه لزيجات رسول الإسلام، فإذا هى من صميم أخلاقه الطيبه، ومن مظاهر إنسانيته ونشاطاته الدينيه المقدسه.

ونحن إذ لا نستطيع أن نوجز ما يحتاج إلى سِفْرٍ فى صفحه، نأمل أن نُشير إلى موجز من فلسفه زيجات النبى صلى الله عليه واله، ومجملها أُبيِّنه فيما يلى:

١- إن الرسول صلى الله عليه واله لم يتزوج فى شبابه حينما تبلغ غريزه الإنسان الجنسيه منتهاها. بل اكتفى بالسيده خديجه وهى- كما يعلم الجميع- كانت امرأه ثَيِّباً، ولم يتزوج بامرأه بِكْرٍ إلَّا بعائشه، وذلك حيث لم تكن له زوجه، وكان بدء التبليغ الإسلامى وتأسيس شرائعه التى كانت تخالف الرهبانيه المسيحيه التى تحظر الزواج. وكان النبى يريد أن يكون عاملًا قبل أن يكون قائلًا ليكون أسوه حقه للمسلمين؟

ص: ٥٥

٢- إن الرسول صلى الله عليه واله تزوج بنساء (أرامل) كانت العاده العربيه تنبذهن نبذاً، فتذهب الأرمله إما فاجره أو فقيره (معدمه). أولئك الأرامل اللاتى كانت الحروب الإسلاميه تكثر منهن. كما أنه تزوج بنساء لكى يستميل أهلهن إلى الإسلام.

فمن القسم الأول: أم سلمه وسوده بنت زمعه ورمله أم حبيبه وحفصه بنت عمر وميمونه وغيرهن.

ومن القسم الثانى: صفيه بنت ثابت أحد زعماء اليهود، ولعل النبى تزوج بها لتأليف قلوب اليهود الذين هُدّمت حصونهم، وأُبيد مجدهم. وجويره التى تزوجها بعد هزيمه أربابها فى غزوه بنى المصطلق، فأعتق بسببها كل من أسر من بنى المصطلق، وأسلموا ببركه هذا الزواج الميمون. أضف إلى ذلك كله أن النبىَّ صلى الله عليه واله لم يبعث إلى الرجال فقط بل إلى النساء أيضاً فكان يتصل هو مباشره بالرجال وبالنساء فيربيهم ويهذب نفوسهم. فإن لم يكن يتزوج هذا المقدار لم تتح له الفرصه الكافيه للاتِّصال بالنساء إلَّا من بعيد. وهو لا يكفى فى تربيه المرأه التى تؤهل لقياده النساء فكريًّا وتربويًّا.

ومع أن الرسول صلى الله عليه واله تزوج بهؤلاء النساء المختلفات الجنسيه، فقد استطاع أن يكون المثل الأعلى فى تدبير الشؤون العائليه مع ما كان له من مشاكل اجتماعيه بالغه التعقيد.

أما فى سائر الشؤون فقد استطاع النبىُّ صلى الله عليه واله بفكره وسعه صدره، وحسن تدبيره، وبما آتاه الله من تفوُّق كامل على جميع الناس فى جميع العصور، لقد استطاع: أن يُكَوِّنَ- وهو اليتيم المطارَد- من جحيم الصحراء العربيه، جنه البلاد الإسلاميه، ومهد الحضارات الإنسانيه.

ومن أهلها شر أهل الأرض وأسوئهم خُلقاً ومبدأ وعادات، كوَّن منهم قاده العالم وسادته على طول الخط، كما سبق تفصيل بعض أحداثه آنفاً. أفلا يدلّ هذا على حسن التدبير، وسعه التفكير، وجميل السيره والاكتمال فى السمو النفسى والعقلى.

أما إذا تكلَّمنا عن رحابه الصدر وسعه النفس فى مجال التدبير للشؤون الخاصه والعامه- إلى سائر مظاهر السمو النفسى والخلقى- فإنا يجب أن نعترف بالعجز عن التعبير الكامل عن كل جوانب التفوق والتسامى فى الأخلاق بالنسبه إلى النبى صلى الله عليه واله، الذى جعله الله خاتم النبيين الذين كانوا قاده النّاس وسادتهم فى كِلَا الحقلَين المادى والروحى.

ولقد احتج الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام بعجز الإنسان عن التعبير الكامل عن أخلاق النبىّ صلى الله عليه واله، احتج لذلك احتجاجاً لطيفاً بأن الله يقول فى كتابه: (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَهَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا) (۱)، فى حين يقول فى آيه أخرى: (فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاهِ الدُّنْيَا فِى الآخِرَهِ إِلَّا قَلِيلٌ) (۲)، فالحياه الدنيا مع أنها قليله عند الله، فإنها لا يمكن الإحاطه بها، وإحصاء ما فيها .. فكيف بأخلاق النبى صلى الله عليه واله الذى يقول فيه الله تعالى: (وَإِنَّکَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم) (۳)، حيث عبّر عنه بالعظيم. فإذا لم يكن إحصاء القليل ممكناً فكيف يمكن إحصاء العظيم.

ومع كل ذلك فإنى أسرد لك شيئاً من مظاهر الْخُلُق العظيم،

۱- (۱) سوره إبراهيم، آيه: ۳۴.

۲- (۲) سوره التوبه، آيه: ۳۸.

۳- (۳) سوره القلم، آيه: ۴.

تاركاً الشی ء الكثير منه.

كان النبی صلی الله علیه واله أشجع، وأحلم، وأعدل، وأعف، وأسخی الناس جمیعاً، وكان لا یبیت عنده دینار ولا درهم.

وكان أزهد الناس، وأبسطهم فی العیش، حیث كان یخصف النعل ویرقع الثوب، ویخدم فی البیت مع سائر أهل بیته.

وكان أشد الناس حیاءً، فلا یثبت بصره فی وجه أحد أبداً.

وكان أسمح الناس وأسهلهم، وكان یُجیب دعوه الحر والعبد، ویقبل الهدیه ولو أنها جرعه لبن، ویكافئ علیها أحسن مكافأه، وكان لا یستكبر عن اجابه أَمَهٍ أو مسكین.

وكان یغضب لله ولا یغضب لنفسه؛ ویُجری حكم الله وإن تضرَّر هو أو أحد من أصحابه به. فقد أشار علیه أصحابه ذات مره بأن ینتصر علی أعدائه المشركین بسائر المشركین، فأبی قائلًا:

«لَا نَسْتَنْصِرُ بِأَهْلِ الشِّرْكِ» (١)

مع أنه كان أحوج ما یكون إلی ذلك.

وكان یربط الحجر علی بطنه من الجوع، فإذا حضر الأكل، أكل ما وجد ولم یردّ شیئاً. وكان متواضعاً فی أكله، فلا یأكل مُتوكِّئاً، ولا علی خوان، ویؤاكل المساكین، ویجالس الفقراء، ویكرم أهل الفضل، ولا یجفو أحداً.

أما فی شؤونه الاجتماعیه، فكان یعود المریض كائناً من كان وكیف كان، ویشیّع الجنائز، ویمشی وحده ولا یتخذ حاشیه أبداً. ویركب ما حضر إن فرساً، أو بغلهً، أو حماراً، إن حافیاً أو ناعلًا، مع الرداء حیناً،

١- (١) شرح نهج البلاغه، ج ١۴، ص ٢٢٧.

وحيناً بلا رداء وبلا عمامه ولا قلنسوه. ولكنه كان يسير بمظهر القوه لا الضعف، فإذا مشى اقتلع رجليه عن الأرض اقتلاعاً حتى كأنه ينحدر من علٍ.

وكان يحب الطِّيب حبًّا جمًّا، وكان له عبيد وإماء، ولكن لم يكن يترفع عليهم أبداً.

وكان لا يمضى عليه وقت ليس فى طاعه الله.

وكان يبدأ مَنْ لقيه بالسلام، ومن قام معه فى حاجه سايَرَه حتى يكون هو المنصرف.

وكان إذا لقى أحداً من أصحابه بدأه بالمصافحه، ثم أخذ يده وشابكه ثم قبض عليها.

وكان لا يجلس إليه أحد وهو يصلِّى إلَّا خفَّف صلاته والتفت إليه قائلا: ألك حاجه؟. فإذا تمت حاجته قام إلى صلاته.

وكان أكثر جلوسه جلسه التواضع وهى أن يرفع ساقيه ويمسكها بيديه، ويجلس حيث ينتهى به المجلس. وما رؤى قط مادًّا رجليه بين أصحابه، وكان أكثر ما يجلس يستقبل القبله. وكان يُكرم مَنْ يدخل عليه؛ حتى ربما بسط ثوبه لمن ليس بينه وبين الرسول قرابه. وكان يُؤثر الداخل عليه بالوساده التى تكون تحته فإن أبى عزم عليه حتى يقبل.

وما استصغاه أحد إلَّا ظن أنه أكرم الناس عليه، حتى أنه كان يُعطى كل من جلس إليه نصيبه من وجهه ونظره.

ولقد كان يدعو أصحابه بكناهم إكراماً لهم وتعظيماً، فإذا لم يكن لأحد كنيه كنّاه من جديد حتى يُكنَّى بها.

والمرأه إن كان لها ولد كنَّاها به، وإن لم يكن لها ابتدأ بكنيه لها جديده. حتى الصبيان فإنه كان يكنيهم. وكان أبعد الناس غضباً على أحد، وأسرعهم رضاً، وأرقهم لهم قلباً، وخيرهم لهم نفعاً.

وكان إذا جلس مجلساً قال:

«سُبْحَانَکَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِکَ. أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُکَ وَأَتُوْبُ إِلَيْکَ» (۱).

وكان إذا جلس بين أصحابه لا يُعرف أيهم محمد صلى الله عليه واله لاختلاطه بهم. فلما كثر الوافدون الذين كانوا يسألون عنه أمام عينيه قائلين: أيُّكم محمد!. صنع له دكه من طين. وكان يقول:

إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ!.

أما صلته بربه فلقد كان نبيّ الإسلام، أخشى الناس لربه، وأتقاهم له، وأعلمهم به، وأقواهم فى طاعته، وأصبرهم على عبادته، وأكثرهم حبًا له، وأزهدهم فيما سواه. فكان يصلِّى حتى انشقت بطن قدَميه من كثره الصلاه. فإذا وقف إلى الصلاه انهمرت دموعه، وارتجت البقعه بنشيجه وضراعته. وكان يصوم حتى يقال: إنه لا ـ يفطر، ويفطر حتى يقال: إنه لا ـ يصوم. وكان نظيف الجسم، طاهر الثياب، يرجّل جمته، ويسرّح لحيَته، ويستاک، ويعطِّر جسده، حتى كان يشم منه الرائحه الطيبه من بُعد، ويعرف الشخص الذى يصاحبه أو يجالسه أنه قد التقى به بما يسرى منه إليه من العطر. ويطعم الجائع، ويكسو العارى، ويُركب الراجل، ويُعين ذا الحاجه فيها، ويقضى دين المَدين.

وكان أشجع الناس، حتى قال الإمام على عليه السلام:

«لَقَدْ رَأَيْتُنِی يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه واله وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُو، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ

۱- (۱) مستدرک الوسائل، ج ۱۵، ص ۴۲۸.

يَوْمَئِذٍ بَأْساً» (۱).

وقال علیه السلام أیضاً:

«کُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ اتَّقَیْنَا بِرَسُولِ اللهِ صلی الله علیه واله، فَلَمْ یَکُنْ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبَ إِلَی الْعَدُوِّ مِنْهُ»س (۲)

. وکان أجود الناس کفًّا، وأصدقهم لهجةً، وأوفاهم ذمةً، وألینهم عریکةً، وأوسطهم نسباً. من رآه هابه، ومن خالطه أحبه. ما سُئِلَ شیئاً إلَّا أعطاه. وإن رجلًا أتاه سائلًا فأعطاه غنماً سدّت بین جبلین، فرجع إلی قومه فقال: أسلموا فإن محمداً صلی الله علیه واله یعطی عطاء من لا یخشی الفاقه.

وکان یُنکر کلَّ منکر، ویأمر بالمعروف.

وکان- أخیراً- قدوهً لکل خیر، وأسوهً فی کل فضل، ورائداً إلی کل ما ینفع الإنسان فی العالمین.

فعلیه وعلی آله أفضل الصلاه والسلام.

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۱۶، ص ۲۳۲.

۲- (۲) بحارالأنوار، ج ۱۹، ص ۱۹۱.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان بإشراف آیة الله الحاج السید حسن فقیه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدینیة والثقافیة والعلمیة معتمداً علی النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائیین والمثقفین فی الجامعات والحوزات العلمیة.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراکز القائمة بتوفیر المصادر فی العلوم الإسلامیة وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول علی مصادرها أحیاناً، تهدف مؤسسة القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان إلی التوفیر الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلی الباحثین فی العلوم الإسلامیة وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الکترونیة من الکتب والمقالات العلمیة والدراسات المفیدة وهی منظمة فی برامج إلکترونیة وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثین والمثقفین والراغبین فیها.

وتحاول المؤسسة تقدیم الخدمة معتمدة علی النظرة العلمیة البحتة البعیدة من التعصبات الشخصیة والاجتماعیة والسیاسیة والقومیة وعلی أساس خطة تنوی تنظیم الأعمال والمنشورات الصادرة من جمیع مراکز الشیعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامیة وتعالیم القرآن وآل بیت النبیّ علیهم السلام

تحفیز الناس خصوصا الشباب علی دراسة أدقّ فی المسائل الدینیة

تنزیل البرامج المفیدة فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثین والمحققین فی الحوازت العلمیة والجامعات

توسیع عام لفکرة المطالعة

تهمید الأرضیة لتحریض المنشورات والکتّاب علی تقدیم آثارهم لتنظیمها فی ملفات الکترونیة

السیاسات:

مراعاة القوانین والعمل حسب المعاییر القانونیة

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراکز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتینیة وتکرار المحاولات السابقة

العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.۴

PDF.۵

HTML.۶

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.۴

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣۴۴٩٠١٢۵

هاتف المكتب في طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.